

بسم الله الرحمن الرحيم



الحركة الفلسفية الحركة

ما هو الهدف من الحركة و إذا كانت الحركة لا تؤدي لإرتقاء المتحرك لماذا يسعى المتحرك للحركة ، لماذا لا يفضل السكون ؟ إذا أدت الحركة لإرتقاء منظومة ما فهل بالضرورة أن تكون حركة جميع أجزاء تلك المنظومة نحو الرقيّ ؟ لكل حركة هدف ، و أحياناً يرتقي المتحرك لمراحل لكن سرعة الوصول لهذه المراحل متفاوتة ، تغيرات هذه الحركات متفاوتة لا تؤثر على تكامل المتحرك .

تبحث الحركة في العلوم الفيزيائية و في الميكانيكا بالأخص في علمين منفصلين هما الديناميكا و الكينماتيكا يبحث الأول الحركة متأثرة بالقوى المؤثرة عليها ، و يبحث الثاني الحركة بعيداً عن القوى المؤثرة ، بينما تبحث القوى المؤثرة على الأجسام الساكنة في علم الإستاتيكا ، كذلك تبحث حركة الحرارة في علم الديناميكا الحرارية أو الترموديناميك ، و حركة السوائل في ديناميك السوائل . يضع علم الديناميكا و الكينماتيكا جميع أنواع الحركات (الخطية و الدائرية و التذبذبية) في قوانين و معادلات تخضع لها الحركة و المُحرك و المتحرك .

أهم مقومات الحركة الفيزيائية المبدأ و المقصد (الإنهاء) و المسافة (الفاصلة) و الزمن كذلك الجهة و الإمتداد و الهدف من الحركة . السرعة هي المقياس الفيزيائي الذي تقاس به الحركة و هي نسبة تغيرات الفاصلة الى تغيرات الزمن ، و تغيرات السرعة بالنسبة الى تغيرات الزمن هو التعجيل الذي يبين نوع الحركة سواء ثابتة أو تزايدية أو تناقصية .

إذا كانت فاصلة الجسم بالنسبة للمبدأ في فترة زمنية معينة ثابت ، فذلك الجسم بالنسبة لهذا المبدأ في هذه الفترة ساكن و إلا فالجسم متحرك . لغوياً تعرّف الحركة ضدّ السكون ، و السكون ضدّ الحركة .

كانت هذه بعض أهم المفاهيم الفيزيائية للحركة ، و يختلف المفهوم الميتافيزيقي أو بالأحرى الفلسفي للحركة عن المفهوم الفيزيائي للحركة من حيث البحث و الإستعمال . تقف الفلسفة أحيانا مع الحركة أكثر من وقوفها مع المتحرك ، و تقف الفيزياء أحيانا مع المتحرك أكثر من وقوفها مع الحركة نفسها . يرجع هذا الوقوف للنظرة الفلسفية للفيزياء أو الى النظرة الفيزيائية للفلسفه . تستطرق الفلسفة لمفاهيم من الحركة لا تقف عندها الفيزياء . هل تقتصر الحركة على تغير المكان فقط ، و ماذا عن تغير اللون و الرائحة و الطعم و المزاج و النفسية ... و نمو الكائنات الحية ؟ هل تقتصر الحركة على البعد الظاهري للأشياء أو الأعراض فقط و لا تتعدى ذات و جوهر الشئ ؟

عرّف القدماء الجوهر على أنه "المتحيز بالذات فإن كان محلاً فهو الهيولى و المادة و إن كان حالاً فهو الصورة الجسمية و النوعية و إن لم يكن حالاً و لا محلاً فإن كان مركباً منهما فهو الجسم الطبيعي و إن لم يكن كذلك فإن كان متعلقاً بالأجسام تعلق التدبير و التصريف فهو النفس الإنسانية و الفلكية و إلا فهو العقل" . و قيل كذلك القائم بنفسه الذي

لا يحتاج أن يوجد في موضوع ، أي مستقل بذاته . و الجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ. كذلك كانت عندهم المقولات عشرة واحدة الجوهر و تسعة أعراض و هي : الكم ، و الكيف ، و الأين ، و المتى ، و الوضع ، و الإضافة ، و الملك (أو الجدة) ، و أن يفعل ، و أن يفعل . و المقولات التي تقع فيها الحركة أربعة و هي الكيف و الكم و الأين و الوضع . وقوع الحركة في الكيف كالإستقامة و الإعوجاج ، وقوع الحركة في الكم كالنمو الذي هو زيادة في الحجم . و الأين كدوران الأرض حول الشمس . و الوضع كدوران الأرض حول نفسها .

عند أكثر الفلاسفة الحركة للأعراض و لا تشمل الجوهر كسقراط و ابن سينا و السهروردي ، و عند البعض الآخر تتعدى الحركة الأعراض و تشمل الجوهر كهراقليطس و صدر الدين الشيرازي ، و يوجد من الفلاسفة من ينفي الحركة المستمرة (المتصلة) كزينون الإليائي و بارمينيدس ، فالحركة عند زينون مثلاً هي تعاقب سكنات و الحركة المتناهية في الواقع هي غير متناهية . يعتمد الفلاسفة اللاهوتيون على الحركة لإثبات وجود الله ، بينما لا تستطرق الفلسفة المعاصرة كالفلسفة الوجودية لمفهوم الحركة .

ناقش الفلاسفة المسلمين الحركة و أعطوا تقسيمات متفاوتة لها كونها مركبة أو بسيطة ، إرادية أو لا إرادية ، مستقيمة أو مستديرة ، وضعية أو إنتقالية ، و كانوا متفقين مع أرسطو في تعريفه للحركة على إنها الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدرج . و إستعانوا بمبدأ الحركة الذي وضعه أرسطو لإثبات المحرك الأول لإثبات وجود الله . يجب التذكير بأن المحرك الأول عند أرسطو يختلف عن الله سبحانه و تعالى في المفاهيم الدينية . يستند مبدأ الحركة أو برهان الحركة عند أرسطو على أربع مقدمات هي : المقدمة الأولى إثبات وجود الحركة ، المقدمة الثانية حاجة الحركة لمحرك خارجي ، المقدمة الثالثة المحرك و

المتحرك معاً ، و المقدمة الرابعة سلسلة المحركات متناهية ، تنتهي المقدمة الرابعة بعدم ضرورة إحتياج المحرك الأول لحركة . غير هذا المبدأ نظرة الفلسفة الغربية في القرون الوسطى حول الله سبحانه و تعالى حتى نزل مفهوم الله الى ساعاتي ضبط الكون و رماه يحرك نفسه و هذا المفهوم يتنافى مع مفهوم الله في المفاهيم الدينية الذي "كل يوم هو في شأن"¹ .

هل تنحصر الحركة و الإرتقاء في الكائنات الحية مثلاً على ظاهرها و لا يتعدى ذلك ذاتها؟ الحركة التي تطراً على لون البرتقالة عند نموها من الأخضر الى اللون البرتقالي هل يقتصر على لونها فقط و لا يرتقي لذاتها و جوهرها ؟ الحركة في الأعراض أمر بديهي و بدايتها ناشئة من مشاهداتنا اليومية للحركات الظاهرية ، لكن الحركة في الجوهر تستطلب برهان و هذا ما قام به صدر الدين الشيرازي بإعطائه ثلاثة براهين على حركة الجوهر واضعاً نظريته الفلسفية المعروفة بالحركة الجوهرية . أكثر الفلاسفة يستبعدون الحركة في الجوهر و إستدلّاهم هو في كل حركة وجود ذات واحدة و ثابتة من ضروريات الحركة و إذا إستسلمنا لحركة الجوهر يجب الإستسلام لحركة بلا محرك . بينما مؤيدو حركة الجوهر لا يستبعدون حركة الجوهر بل يعتقدون بضرورتها و نفي الحركة من الجوهر يؤدي الى عدم إمكان إثبات الحركة في الأعراض .

نال مفهوم الحركة في الفلسفة الإسلامية إهتماماً واسعاً فاق و حتى تجاوز إهتمام الفلسفة الغربية به ، وذلك لدوران مفهوم الحركة في الفلسفة الإسلامية حول العلة الغائية . حذف فرانسيس بيكون العلة الغائية من الفيزياء و أرجع مطالعتها للميتافيزيقيا ، إرجاع العلة الغائية للميتافيزيقيا هو بمثابة سجنها في دوامة من براهين لغوية لا يمكن لها التحقق في الواقع . قوانين الحركة التي وضعها كوبرنيك و غاليلو و نيوتن و إستبعاد ديكارت تصور

1- يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (الرحمن 29)

حركة غير الحركة المكانية ، أدى الى تربع الفيزياء على عرش العلوم و أصبحت عند كائط العلم الذي يطالع القوى المحركة للمادة و لها الأرجحية على الميتافيزيقيا . على رغم النظريات الفلسفية الغربية التي لا تستبعد حركة الجوهر كنظريات سبينوزا و لايبنتز إلا إن تفوق ميكانيك نيوتن على ميكانيك لايبنتز سلب الحركة من الموناد (الموناد جواهر منفردة قال بها لايبنتز) .

واجه مفهوم الحركة في الفلسفة الغربية عدة تيارات و نظريات لكن إستطاعت قوانين الحركة التي وضعها نيوتن من تثبيت مكانته بين المفاهيم المادية ، و أصبح الأرضية الخصبة لديالكتيك هيجل الذي تأسست عليه المادية الديالكتيكية المستغنية عن المحرك الأول و المعتمدة على الحركة الدائمة و الذاتية لتصل الى الحركة التاريخية التي طورت المجتمعات و وسائل الإنتاج .

حافظت الحركة على مفهومها الفيزيائي على رغم ظهور نظريات فيزيائية قوية كنظرية النسبية و ميكانيك الكم اللذان ذهبا بالحركة و مفهومها الى أبعد ما ذهبت إليه الفيزياء الكلاسيكية . تغير مفهوم الزمان و المكان و الفضاء في النسبية ، حيث أصبحت الحوادث و منها الحركة تحدث في الزمكان (الزمان – المكان) في فضاء رباعي الأبعاد . جميع المفاهيم التي فرضتها النسبية (كسرعة الضوء المطلقة ، و نسبية الزمان ، و إنحناء الفضاء و إنحناء مسير الأشعة الضوئية ، و الزمكان ، و إضافة بُعد رابع للأبعاد المكانية و هو الزمن ، و تأثير المادة بالسرعة ، و حذف الأثير و إمكانية حركة الأمواج الكهرومغناطيسية في الخلاء ، و مراجع العطالة) لم تغير مفهوم الحركة بل رسخت مفهومها الفيزيائي . حتى ميكانيك الكم الذي أعطى نسبة من الريبة عند تعيين مكان جسيم لم يعطي أي نسبة من الشك و الريبة في حركة الجسم نفسه و إن شكك في تعيين كمية

حركته . جميع المفاهيم المرتبطة بالحركة تغيرت و لم يتغير مفهوم الحركة نفسها ، و كأنما الحركة التي أدت الى كل هذه الحركات لم تجري عليها الحركة ، و هذا يعود بنا الى مفهوم المحرك الأول الذي ليس بالضرورة إحتياجه لحركة ، و الى حركة الجوهر الذي أدى كل هذه الحركات ، أو لثبات الجوهر الذي صمد أمام هذه الحركات! نقول بكل الحالات معاً لأن الفلسفة ما إستطاعت من حسم المسئلة و اليوم الفيزياء هي كذلك غير قادرة على الجزم في ماهية سلوك بعض الظواهر .

السلوك المزدوج الجسيمي و الموجي للضوء هو بمعنى إن الضوء يتصرف في بعض الظواهر كالإنعكاس ، مثل الجسيمات فتتطبق عليه قوانين حركة الجسيمات و في بعض الظواهر الأخرى كالحيدود أو التشتت ، يتصرف الضوء تصرف موجي فتتطبق عليه قوانين الحركة الموجية . تفرض النظرية السائدة لهذا السلوك المزدوج عدم تصرف الضوء التصرف الجسيمي و الموجي معاً في ظاهرة أو تجربة واحدة ، توجد نظرية فيزيائية تريد أن ترى النور تثبت التصرف المزدوج هذا للضوء معاً في تجربة واحدة . إذا نظرنا للفوتونات نظرة جوهرية ستقع الفيزياء بالمستتقع الذي وقعت فيه الفلسفة . إذا قبلنا فكرة التصرفات المزدوجة للضوء ، و إنتظرنا صحة التجربة القائلة بجمع التصرفين معاً ماهي إذن مصداقية العلوم الفيزيائية ، هل كل شئ جائز ؟ هل ترجع هذه الإشكاليات أو الواقعيات الفيزيائية الى حذف العلة الغائية ؟ جميع إشكاليات الفلسفة نتيجة وجود العلة الغائية و لا يمكن للفلسفة بلا علة غائية . جميع النتائج الفيزيائية نتيجة حذف العلة الغائية ولا يمكن للفيزياء الأستمرار مع حذف العلة الغائية . هل العلة الغائية هي الحائل بين الفيزياء و الميتافيزيقيا ذلك الحائل الذي يجب وجوده و عدم وجوده ؟ هل سينفذ بوزون هيغز إذا تم العثور عليه في مصادم الهيدرونات الكبير الفيزياء من شبح العلة الغائية؟! المسئلة أكبر من كسب الرهان هي مسئلة تحدي و إستسلام .

جلال الحاج عبد

2010 . 3 . 14



موقع جلال الحاج عبد

www.jalalalhajabed.com

البريد الإلكتروني :

jalal.alhajabed@hotmail.com

jalal.alhajabed@yahoo.com